

## الفكرة الدينية ودورها في عملية بناء الفرد والمجتمع عند مالك بن نبي.

د/سليمان ملوكي  
كلية الحقوق، جامعة المسيلة

الدينية التي هي أساس تكوّن كل حضارة مضيئة طريقها بكل منطق وحكمة أيا كان مصدرها. إن مواقفه تنبعث من روحه الإسلامية الصلبة القائمة على طلب الحق وإجلاء الحقيقة، فهو يعادي المرتدين عن دينهم والمنسلخين عن قوميتهم والموالين للاستعمار. كما يكره كل من يمس الإسلام والمسلمين. إنه لم يطمح أن يكون زعيما سياسيا ينسخ زعامة غيره ممن لم يتفق معه سواء في شبابه أو في كهولته، فموقفه للخط الإصلاحي الذي يضطلع به العلماء محترم كثيرا، ولم يود أن يكون أحد زعماء هذه الأمة أو مهندسا لأفكارها. وعندما

ولد مالك بن نبي في جو عائلي محافظ مشحون بالعاطفة الدينية ومسكون بالآلام والأحزان لما أصاب الأمة الإسلامية وبلده الجزائر من ويلات وكوارث على يد الاستعمار، الذي كان أول ما فعل في الجزائر تحويل أكبر جوامعها إلى كنائس. فكان من رواد مدرسة «إسلامية المعرفة» وإصلاح مناهج الفكر عن طريق أفكار تتميز بالقدرة التوليدية في مجال المفاهيم والمنابع والعمارة الحضارية بكل امتدادها وتنوعها<sup>(1)</sup>.

إن مالك بن نبي مفكر إسلامي محض، كان مسكونا بهاجس النهوض بأمته عن طريق الفكرة

على أساس الدين «فالدين وحده هو الذي يمنح تلك القوة العظيمة والخالدة والمؤثرة التي تبدأ بتحريك المسلم نحو بناء حضارته كما وقع في الماضي»<sup>(3)</sup>.

إن ما قام به القرآن الكريم من تطهير للنفس البشرية من أفكار جاهلية بالية ورسم الطريق للفكرة الدينية الصافية التي تخط طريقها بشكل إيجابي هو العمل الذي يلزم اليوم للنهضة الإسلامية، إذ لا تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

لقد ناقش مالك بن نبي فلاسفة الحضارة وفي مقدمتهم الفيلسوف الإنجليزي «آرنولد تونبي» في مسألة نشوء الحضارة واندثارها، فوصل إلى نتيجة أو إلى نظرية مفادها أن الحضارة لا تستورد ولا هي تكديس ولا جمع لركام من الأشياء، وإنما هي إبداع وتركيب للعناصر الثلاثة: الإنسان، والتراب، والزمن. والعقيدة الدينية هي التي تؤدي دور المركب فيها والجامع لكل هذه العناصر المختلفة.

يتحدث مالك عن الرباط الثقافي ونسيج الشبكة الاجتماعية، فإنه لا يرى ذلك خارجا عن الإسلام، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أَلَفَ بين قلوب المؤمنين برسالة الإسلام ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفَتْ يَدُكَ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

إن النهضة لن تتم خارج الشرط القرآني، إنه الميزان الذي يزن المواقف والتطورات السياسية والإصلاحية وفي ذلك نجده يقول: «ألم يكن موطن المعجزة هو ما دل عليه القرآن أي في النفس ذاتها وما يقع فيها من تغيرات سلوكية وأخلاقية؟ أولم يكن العلماء أنفسهم ينهلون معجزتهم من ذلك ينبوع؟ إذ كانوا يغيرون ما بنفس الفرد، ذلك التغير الذي هو شرط لكل تحول اجتماعي رشيد».

ويقول بصريح العبارة وهو يتحدث عن معاناة البناء لهذه الحضارة الذين كان يجب إعدادهم

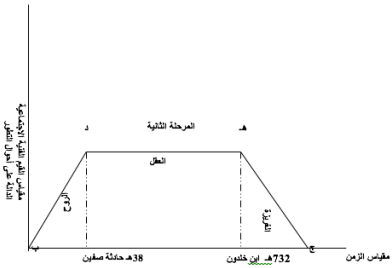
عكس طور النهضة الصاعدة وبين الطورين يوجد بالضرورة اكتمال معين هو طور انتشار الحضارة وتوسعها.

من خلال المخطط نستطيع تتبع اطراد حضارة معينة، وكذا نتمكن من عقد الصلات المشروعة بين العوامل النفسية والزمنية المختلفة التي تؤدي دورا في هذا الاطراد. ومن المؤكد أنه عندما نتناول الحضارة الإسلامية فلا بد أن يدخل في اطرادها بالضرورة عاملان هما: الفكرة الدينية التي هي أصل الاطراد نفسه، والإنسان المسلم الذي هو السند المحسوس لهذه الفكرة.

وعليه فإن ما ينسجم وطبيعة الأشياء حينما ندرس هذه الحضارة، من حيث الأساس العضوي الذي يربط الفكرة الدينية بسندها. لأن كل القيم النفسية والزمنية التي تميز مستوى حضارة ما في وقت معين ليست إلا الترجمة التاريخية لهذه العلاقة العضوية. ومن هنا

وفي صورة تخطيطية يشهد قانون ظاهرة الحضارة إذ يعرض فيه مالك بن نبي التحليل التاريخي لها محددا بدايتها ونهايتها وفي ذلك يقول: «إن الحضارة تقع بين حدين اثنين هما: الميلاد والأفول، ونحن نملك هنا نقطتين اثنتين من دورتها، والمنحنى البياني يبدأ بالضرورة من النقطة الأولى في خط صاعد ليصل إلى النقطة الثانية في خط نازل»<sup>(4)</sup>.

شكل رقم (01): مخطط الاطراد الحضاري عند مالك بن نبي.



ويمكننا أن ننطلق من تطور انتقالي يتوسط هذين الخطين، حيث يوجد بينهما وسط تتوهج فيه الحضارة، وبين الطورين الأولين يوجد توازن معين يشير إلى تعاكس في الظاهرة، فطور الأفول النازل هو

ويخضع وجوده إلى المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية في نفسه. وبذلك يواصل المجتمع الذي أبرزته الفكرة الدينية إلى النور بحسن استثماره للعقل والقلب كل في مجاله، وذلك لأجل تكملة بناء شبكة روابطه الداخلية بقدر امتداد إشعاع هذه الفكرة في العالم<sup>(5)</sup>.

وعند أوج أي حضارة تظهر الأمراض الاجتماعية منذرة بسقوطها، وذلك ما يجتذب انتباه المؤرخين وعلماء الاجتماع، لأن آثاره المحسوسة لا تزال بعيدة كما تواصل الغريزة مكبوحة الجماع سعيًا إلى الانطلاق والتحرر، فتستعيد الطبيعة غلبتها على الفرد والمجتمع شيئًا فشيئًا، وعندما يبلغ هذا التحرر تمامه يبدأ الطور الثالث من أطوار الحضارة ونعني به طور الغريزة.

وتكشف الغريزة عن وجهها فتنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام

بتعيين علينا اللجوء إلى لغة التحليل النفسي بغية تتبع اطراد الحضارة باعتباره صورة زمنية لردود الأفعال المتبادلة والتي تتولد منذ مطلع هذا الاطراد بين الفرد والفكرة الدينية التي تبعث فيه الحركة والنشاط.

عندما نعتبر الفرد عند نقطة الصفر في الصورة التخطيطية التي قدمناها فإننا نجده في الحالة التي يعرفها بعض المؤرخين المسلمين بـ «الفطرة» مع جميع غرائزه كما وهبها إياه الله. فالفرد في هذه الحالة ليس أساسه إلا الإنسان الطبيعي أو الفطري. غير أن الفكرة الدينية سوف تتولى إخضاع غرائزه إلى عملية شرطية تمثل ما يصطلح عليه علم النفس الفرويدي بـ «الكبت». وهذه العملية الشرطية ليس من شأنها القضاء على الغرائز، ولكنها تتولى تنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية. وفي هذه الحالة يتحرر الفرد جزئيًا من قانون الطبيعة المفطور في جسده،

الأساسية، أما الإنسان السابق على الحضارة فإنه يظل مستعدا للدخول في دورة الحضارة من جديد.

في معرض حديثنا عن أثر الفكرة الدينية في قيام الحضارة عند مالك بن نبي يقول الأستاذ عبد السلام الهراس وهو أستاذ بجامعة فاس: «لقد امتاز فكره بالإصلاح والتجديد الإسلامي، وأن جهوده ونبوغ عبقريته تم اكتشافها من طرف الأديب إحسان عبد القدوس والذي كتب مقالات كثيرة حوله... إن نظرية مالك بن نبي تكمن في ضرورة المزج بين الخبرات التقنية الغربية وبين الفطرة الإنسانية الإسلامية»<sup>(7)</sup>.

وعندما بدأ المجتمع الأوروبي يتطلع لبناء حضارته كان لزاما عليه أن يخلص نفسه من الأفكار التي طغت تعسفا على مختلف مجالات نشاطه. وتمثلت عملية تخليصه من هذه الأفكار باسم حركة فكرية اسمها «الليبرالية»، بتحرير العقل من سلطان الكنيسة الجديدة التي

بمهمتها تماما في مجتمع منحل، يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ وبذلك تتم دورتها في الحضارة. إن دورة الحضارة التي كان رائدها عبد الرحمن بن خلدون بلا منازع تقوم على أساس أن التاريخ حركة مستمرة من الصعود إلى الهبوط في العمران البشري. فحينما تدخل الفكرة الدينية في التاريخ وتنتهي تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها علاقة مع الغرائز المكبوتة<sup>(6)</sup>.

وقبل بدء دورة من الدورات أو عند بدايتها يكون الإنسان في حالة سابقة للحضارة، أما في نهاية الدورة فإن الإنسان يكون قد تفسخ حضاريا فيدخل في عهد ما بعد الحضارة. والإنسان الذي تفسخ حضاريا مخالف للإنسان السابق عن الحضارة، فالأول ليس مجرد إنسان خارج عن الحضارة كما هي الحال مع الإنسان مسلوب الحضارة والذي لم يعد قابلا لإنجاز عمل «متحضر» إلا إذا تغير هو بنفسه من جذوره

المرجعية لدور الدين أحسن استثمارا له حيث انطلق العقل والقلب كل في مجاله في عمل متكامل من أجل تحقيق الحضارة... والدين. على هذا يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني قانونا خاصا بالفكر الذي يطوف من مدارات مختلفة من السلام إلى أخط الوثنيات البدائية حول مركز واحد كما هو حافل بالأسرار إلى الأبد<sup>(٩)</sup>. من خلال ما أورده مالك بن نبي

نستنتج أنه مقتنع بدور الدين في بناء المجتمع أكثر من أية فكرة أخرى، لأن الدين هو الوسيلة الروحية التي يمكن أن تبني الأشخاص لأنه يخاطب الروح. وهذا هو الجانب المهم الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية، لأن هذه الأخيرة ما هي إلا ذلك الشعور الاجتماعي الموحد الذي يمكن من خلاله أن نقوم بعمل مشترك ببناء.

إن الشيء المهم الذي نستخلصه من هنا هو أن مالك بن نبي يخاطب أكثر ما يخاطب الشعوب الإسلامية

أوكلت للفكرة المسيحية تغذية الروح الأوروبية في مناسبات محددة الظروف التي تقتضي ذلك لتزودها بالطاقة اللازمة التي يصطلح عليها مالك بن نبي «بالإرادة الحضارية». وهكذا قامت الفكرة الليبرالية النابعة من صميم الثقافة الأوروبية المسيحية بمهمة الفصل بين العقل و الفكرة الأم (المسيحية) فأعطت ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

وفي مرحلة ثانية لم تعد الليبرالية تكتفي بإبعاد الفكر الديني عن المجال الذي يخوض فيه الكل، فعمدت على تسخير لخدمة تطلعات هذا العقل ونتائجه. ثم إن المسيحية كقيم وأفكار لا يمكن أن تكون مسؤولة عما كان يحصل في القرون الوسطى الأوروبية. بل إن النفس الأوروبية هي التي كانت بها آنذاك قابلية الخضوع لسلطان الغريزة باسم الدين باعتباره نسقا ميتافيزيقيا متكاملا سواء أكان سماويا أم عقلانيا<sup>(٨)</sup>. وهكذا كانت هذه

التي تولد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان في صورة الحتمية الأخلاقية. وعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية معا من حيث الوجهة التاريخية على أنها حدث، ومن الوجهة الكونية على أنها عنوان على حركة تطور اجتماعي منسجم واحد.

تزداد أهمية المسألة الحضارية في التفسير التاريخي بحيث إنها تغطي مساحة واسعة في أي مذهب للتفسير مهما كانت بنيته. كما تشكل القاسم المشترك بين المذاهب جميعا...

فابن خلدون - مثلا - يرى في التحضر مسألة حتمية تجيء دائما في أعقاب توطن العناصر البدوية في الأمصار وتجاوزها مرحلة التقبل والرعي.

وأما هيغل Hegel فإنه يراها مسألة ديناميكية شاملة تنشق عن صراع النقيضين في عالم الأفكار في تسلسل طويل ينتهي إلى مرحلة تجلي

التي خرجت من الاستعمار، وهي لا تملك إلا شيئا إيجابيا واحدا ألا وهو الدين، وتكاد تضيعه هو الآخر في غمار الجهود المبذولة من أجل النهضة دون أن تشترك الآراء في تحديد الأهداف والاتجاهات حتى يقوم الدين أو الفكرة الدينية بالدور الفعال، ألا وهو بناء الحضارة. لذلك يحاول مالك بن نبي أن يعيد للشعوب الإسلامية ثققتها بنفسها خاصة ونحن نعيش في عالم يبدو فيه امتداد الحضارة الغربية قانونا تاريخيا لعصرنا، فيحذرنا من خطر التخلي عن الدين حتى لا يسود الفراغ الروحي. لذلك يبين لنا مالك بن نبي أهميته باعتباره القاعدة الأساسية التي نبني من خلالها عالم الأشخاص، وبالتالي تنعكس العلاقة التي تسود عالم الأشخاص على جميع النشاطات وتحدد لنا مدى فاعليتها.

يرى مالك بن نبي أن العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي

تقوم أسسها بتوجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام للكلمة، فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس حقبته، إذ حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية أو بعيدا عن حقبته فيكتشف حقيقة حياته الكاملة ومعها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته التي تتفاعل معها.

لذلك عند دراستنا في هذا المجال ينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها، فمن المعلوم أن جزيرة العرب مثلا لم يكن بها قبل نزول القرآن إلا شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة يذهب وقته هباء لا ينتفع به. وفجأة أضاءت فكرة في غار حراء وحملت وميض رسالة بدأت بكلمة «اقرأ»، التي مزّقت ظلمات الجاهلية، وقضت على عزلة المجتمع الجاهلي، فرأى النور مجتمع جديد متفاعل مع العالم ومع التاريخ<sup>(10)</sup>.

وإذا ما حسبنا بيان قيمة الفكرة الدينية من حيث وظيفتها الحضارية

المتوحد أو المطلق حين يصل العقل الكلي قمة تعبيره وكامل انطباعه على حضارة العالم ومؤسسته. وأما توينبي المتأثر بسلفه شبنجلر إلى حد كبير فيراها وليدة مقدرة الجماعة الإنسانية على الاستجابة للتحديات البيئية الجغرافية والبشرية المحيطة بها، ويتناسب حجم العطاء الحضاري كمّا ونوعاً تناسباً طردياً مع حجم الاستجابة ومقاييس الكم والنوع معا.

غير أن مالك بن نبي يذهب مذهبا آخر حينما يقرر: «أن حضارة ما هي إلا نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ. هكذا تبدأ الدورة الحضارية في المجال الزمني والمكاني لمجتمع ما على أثر حدوث عارض غير عادي أو بعبارة أخرى ظرف استثنائي يسجل نقطة الانطلاق بها يتفق في الحقيقة مع ظهور فكرة دينية. فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا، أو

أشكال خاصة عن هذا النظام الدفاعي الذي يحوط شبكته.

وجميع القوانين التي أملتھا السماء أو وضعتها محاولات البشر، هي في حقيقة الأمر إجراءات دفاعية لحماية شبكة العلاقات الاجتماعية، وبدونها لا تستطيع الحياة الإنسانية أن تستمر، لا أخلاقيا ولا ماديا. فالوصايا العشر الموحاة إلى موسى ﷺ هي أقوى صورة تظهر فيها الإرادة العليا بالحماية الإلهية التي تعلمنا كيف نعيش مع أهلينا وأقربائنا. وهذا هو أول نظام للدفاع الفعّال الذي يحوط شبكة العلاقات الاجتماعية من أجل حمايتها.

إن جميع المبادئ الأخلاقية إنما تنتهي إلى هذا الأساس المقدس الذي يرتفع فوقه بناء الإنسانية. كما أنه هو الذي يؤمن نشاطها المشترك. بل إن جميع التعاليم المقدسة التي دانت لها الإنسانية وجميع المبادئ الأخلاقية التي اتخذتها الإنسانية المتحضرة ليست إلا تطبيقا متنوعا لتعاليم أخلاقية مشتركة، لكن قد

وخاصة بالنسبة للأمة الإسلامية وتوضيح الكيفية التي تجعل منها كتلة بشرية رائدة وقوة ديناميكية صانعة للتاريخ، يمكن القول: إن أي مجتمع في نقطة إقلاعه ليس أمامه من رأسمال سوى ثلاثة عوامل مادية هي: الإنسان، التراب، والوقت، وهذه العناصر هي المشكلة للحضارة ولعملية البناء الحضاري القائمة أساسا على المحرك أو المركب، ألا وهو الفكرة الدينية باعتبارها الجامعة والمحركة للعناصر السابقة الذكر.

إذا كان معنى التحضر هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الإنسانية من أجل وظيفتها التاريخية، وإذا فهمنا هذا أدركنا في هذه الحالة قيمة نظام الدفاع الذي ينصبه مجتمع بطريقة غريزية حول شبكة علاقاته الاجتماعية؛ فجميع التعاليم التي يحيط بها مجتمع ما - ولو كان بدائيا - حياته الاجتماعية هي في الواقع ترجمة ذات

بها؟ إلا الإكثار من الآثار الجاذبية في  
الميول الجماعية التي توحد الأفراد  
في مجتمع.

إن الثقافة ليست سوى تعلم  
الحضارة، أعني استخدام ملكاتنا  
العقلية في عالم الأشخاص. فليس  
العلم سوى بعض نتائج الحضارة،  
أي أنه مجرد جهد تبذله عقولنا حين  
تستخدم في عالم الأشياء. فالأولى  
تحركنا وتقحمنا كلية في موضوعها  
وتخلق علاقات بيننا وبين النظام  
الإنساني، وأما الثاني فإنه يقحمنا في  
مجاله جزئياً ويخلق علاقات بيننا  
وبين نظام الأشياء.

إن عجلة المجتمع تدور بفضل  
شبكة علاقاتها الاجتماعية، وأن هذا  
النشاط هو الذي ينشأ عنه تغير صورته؛  
بيد أننا رأينا نوعاً من التعادل بين  
شبكة العلاقات في مجتمع ما ونظام  
الاستجابة أو رد الفعل لدى الفرد  
المكيف؛ فالمشكلة علة هذا واحدة  
ولكنها متصورة بمستويين أو نطاقين  
مختلفين: نطاق النفس الإنسانية من

يختلف التطبيق فيها تبعاً لتعاقب  
ظروف التاريخ الإنساني، لأن الهدف  
الأساسي لهذه التعاليم هو الدفاع عن  
شبكة العلاقات الاجتماعية التي يقوم  
عليها كل مجتمع.

وليست القوانين الحديثة سوى  
تطبيق لهذه التعاليم، فكل قانون من  
هذه القوانين في نهاية الأمر له غرض  
مهم هو الإقلال من الآثار المفارقة  
والإكثار من الآثار الموثقة للجاذبية  
في شبكة العلاقات التي تتيح له  
جميع أوجه النشاط الاجتماعي،  
ابتداءً من أكثرها بساطة إلى أشدها  
تعقيداً في المجتمعات التي ارتقت  
سلم الحضارة صعوداً. وإلا فماذا  
يقصد بالإقلال من الآثار المفارقة  
الطردية والإكثار من الآثار الموثقة  
الجاذبية في العلاقات المتحققة  
بين أفراد مجتمع معين، إن لم  
يكن يقصد بها تعليم هؤلاء الأفراد  
كيف يعيشون معاً. إن كلمات مثل:  
«تصدق.. أحب أخاك كما تحب  
نفسك.. إحترم الوعد..» ماذا يقصد

فهذه النظرية الاجتماعية للفعل لم يكن اهتمامها منصبا فقط على دراسة الخصائص أو المميزات الصورية للفعل الاجتماعي، فالجانب الصوري لا يهتم النظرية السوسولوجية للفعل وإنما الذي يهمننا هو الجانب العلمي التطبيقي في المجتمع، فالتفاعلات التي تسعى إليها النظرية الاجتماعية للفعل ذات طبيعة اجتماعية وليست ذات طبيعة نظرية.

وإذا قلنا: إن هناك تربية اجتماعية، فإن قواعدها العامة ينبغي أن تسقى من علم الاجتماع، وعلم النفس، ومن الثقافة، لأن نهضة أي مجتمع لا تتم إلا في الظروف العامة نفسها التي تم فيها ميلاده. كذلك يخضع بناؤه للقانون نفسه. إن هذا القانون هو الذي عبر عنه الإمام مالك بلغة أخرى حين قال: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». ولعلنا نستطيع الآن إدراكه على وجه التحديد. وربما أدركنا خاصة معنى (القيم النفسية - الزمنية)، فهي تمثل

ناحية، ونطاق الزمن الاجتماعي من ناحية أخرى. إن هذا التعادل هو الذي عبر عنه المؤرخ «جيزو» بلغته حين قال: «إن مشكلة التاريخ يمكن أن تتصور بطريقتين، إما أن نحلها في نفس الفرد ذاته ناظرين إلى ما يغير ذاته الإنسانية، وإما أن نحلها في نطاق ما يحيط به ناظرين إلى ما يغير إطاره الاجتماعي»<sup>(11)</sup>.

إنه من الصعب تصور حصول ترابط بين الأفعال الاجتماعية في ظل غياب «الميكانيزمات» التي تساعد على تحقيق هذا الترابط، وهذا ما أكدته النظرية السوسولوجية الحديثة، والتي تركز على الميكانيزمات التي يقوم عليها الفعل الاجتماعي التضامني ونعني به الاتفاق والتأثير. إن الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه النظرية السوسولوجية<sup>(12)</sup> يصب في اتجاه البحث عن الميكانيزمات التي تسمح لنا بربط التفاعلات الاجتماعية بشكل ثابت ومنظم وليس بشكل مؤقت فقط، وعلى هذا الأساس

درجة النمو في شبكة العلاقات والمستوى الاجتماعي في نظام الأفعال المنعكسة في مجتمع معين وفي لحظة معينة من تاريخه.

وبلغة علم الاجتماع نقول: إنها تتفق مع شبكة العلاقات الاجتماعية تكون في أكثر حالاتها لا في أكثرها امتدادا، فهذه الكثافة هي توحى به عبارة (البيان المرصوص) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُلَيْنٌ مَرْصُوصٌ﴾<sup>(13)</sup>.

ويمكن أيضا أن نفسر هذه المرحلة بلغة علم النفس، حينما نقول: إنها تتفق مع المرحلة التي يكون الفرد خلالها في أحسن ظروفه، أعني الظروف التي يكون فيها نظام أفعاله المنعكسة في أقصى فاعليته الاجتماعية، وتكون طاقته الحيوية أيضا في أتم حالات تنظيمها، وهذا هو العصر الذهبي بالنسبة لأيّ كان، من أجل أنه يبلغ آنئذ أوج ازدهاره، فهو يتمتع بميزتين، فقواه جميعا في حركة، وهذه الحركة دائمة صاعدة.

إن المجتمع الذي يتمتع بشبكة علاقاته الاجتماعية تكون في أكثر حالاتها سعة وامتدادا، لكن حينما تكون بعض الشوائب قد طفت على الوجه أو بعض النقائص قد برزت في صورته. وهذه هي الحالة التي كان عليها المجتمع العباسي عندما ظهرت مملكة الأغالبة في المغرب، بدأت النزعة الشعبية في الظهور في المشرق؛ ومعنى هذا بلغة علم النفس أن نظام الأفعال المنعكسة في المجتمع الإسلامي قد تعرض لصدمة، تعرضا لم يعد معه الفرد المسلم يتصرف في كل طاقاته الحيوية، وهو يباشر وظيفته الاجتماعية أعني أن جانبا من غرائزه لم يعد تحت رقابة أفعاله المنعكسة. في هذه المرحلة يواصل المجتمع نموه بفضل السرعة المكتسبة، ولكن قواه لا تكون جميعها في نطاق الحركة، وما كان منها في حركة قد لا يكون على الطريق الصاعدة، فهناك جانب من الطاقة مضى إلى

الذي هو ضرورة ملحة لحياة الأفراد، وهؤلاء الأفراد لابد لهم من صلات تربطهم ببعضهم البعض، أو قوة تجعلهم متماسكين متحدين ينشدون أهدافا واحدة، ولكي يكونوا كذلك لا بد وأن يكون المبدأ الأخلاقي الذي هو المقوم الأساسي للثقافة آتيا من مصدر يفوق العقل وإلا تعددت الأهداف، واختلفت الوسائل؛ ويرى صاحبنا أن المبدأ الأخلاقي يأتي من السماء ليوثق الصلة بين أفراد المجتمع بحيث يجعلهم كالبيان المرصوص يشد بعضه بعضا؛ إن هذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض تأتي مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(15)</sup>. فهذا المبدأ هو بمثابة المؤشر الذي يأذن بقيام الحضارة وليس من قبيل

السكون وهو ما يمكن أن نمثل له في التخطيط الإسلامي بحركة المرجئة؛ كما مضى جانب آخر إلى الهاوية كحركة القرامطة، فمجموعة من الطاقات لم تعد تعمل، ومجموعة أخرى تعمل في اتجاه مضاد وبعبارة أصح ضد المثل الأعلى للمجتمع؛ وهنا يختل نظام الطاقة الحيوية، ويفقد قيمته الاجتماعية حين يهرب من مراقبة نظام الأفعال المنعكسة الناشئ عن عملية التكيف<sup>(14)</sup>.

وفي هذه المرحلة تسود الفردية تبعا لتحرير الغرائز، وتتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية نهائيا، وهو ما يطلق عليه في التاريخ عصر الانحطاط، كذلك العصر الذي هيا في المجتمع الإسلامي ظروف القابلية للاستعمار؛ وبذلك نرى أن تاريخ مجتمع ما هو تاريخ شبكة علاقات ونظام الأفعال المنعكسة لنموذجه وهو الثقافي والحضاري.

نلاحظ في هذا التحليل للمعنى المقصود بالمبدأ الأخلاقي أو الديني ميزة الواقعية، فهو ينطلق من الاجتماع

الصدفة أن يكون معنى الدين في اللاتينية وبالضبط مصطلح «دين» يعني الربط أو الجمع.

إن أثر العنصر الديني بارز في أي ثقافة من الثقافات، وبالتالي لدى أي حضارة من الحضارات؛ إنه مهما كان الشكل الذي يبدو فيه هذا المبدأ، ومهما كانت الصيغ التي تعبر عنه، لذلك يعلق مالك بن نبي على هذه الظاهرة مقدما لنا المثال التالي: «لو أننا تناولنا بالدراسة مشروعا اجتماعيا كجمعية حضانة الأطفال في فرنسا، لبدا لنا من أول نظرة أنها جمعية تقوم على شؤونها دولة مدنية، فنحكم عليها بأنها مؤسسة نشأت في بادئ أمرها على أساس مدنية (لا دينية) في حين لو درسنا تاريخها، ورجعنا إلى أصولها لوجدناها ذات أصل مسيحي، فهي تدين بالفضل إلى القديس (فانسن دي بول) الذي أنشأ مشروع الأطفال المشردين خلال النصف الأول من القرن السابع عشر»<sup>(16)</sup>.

يتضح من خلال المثال الذي ذكره أثر المبدأ الأخلاقي أو الديني في نشأة المؤسسات الاجتماعية، وكيف أن المبدأ يأتي أثره في صور وأشكال يصعب في بعض الأحيان تبيانها. ولذلك نجد «الفكر البني» يلفت انتباه الشباب إلى أثر هذا المبدأ في الحضارة الغربية، والذي لا يمكن لأي متتوج مهما كان أن يسلم من أثره، وفي مثال آخر عن صناعة «الراديو» يبرز أثر العنصر الأخلاقي في الحضارة والثقافة قائلا: «إن أكبر مصادر خطئنا في تقدير المدنية الغربية إننا ننظر إلى منتجاتها وكأنها نتيجة علوم وفنون وصناعات، وننسى أن هذه العلوم والفنون والصناعات ما كان لها أن توجد لولا صلات اجتماعية خاصة... لا تتصور هذه الصناعات والفنون بدونها. إنه الأساس الخلقي الذي قام عليه صرح المدنية الغربية، في علومها بحيث لو ألغينا ذلك الأساس لضاع جميع ما نشاهده اليوم من علوم وفنون».

الغربية إلى الروابط الدينية الأولى التي بعثت الحضارة وهذه حقيقة كل عصر وكل حضارة»<sup>(17)</sup>.

والواقع أن المبدأ الأخلاقي في نفسه الذي جعل المجتمع الإسلامي في بداية نشأته مجتمعاً متماسكاً متراسماً، سيما إذا علمنا وأن الرسالة المحمدية في أصلها أخلاقية، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(18)</sup>.

ونفس الرأي يراه صاحبنا قائلاً: «إن روح الإسلام هي التي خلقت من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامي، حتى كان الرجل في المجتمع الجديد يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه بعد أن يطلقها له لكي يبنى بذلك أسرة. إن المبدأ الأخلاقي أو البعد الديني هو الكفيل بعودة الحضارة العربية الإسلامية إلى حلبة التاريخ، لأن قوة التماسك هذه جديرة بأن تؤلف لنا حضارتنا المنشودة في يدها تجربة عمرها ألف عام، وحضارة

بعد التأكيد على أهمية هذا العنصر في قيام المدنية و الحضارة بمختلف مظاهرها، يقدم لنا الحجة التالية لإثبات صحة رأيه: «فلو أخذنا جهاز الراديو، مثلاً لرأينا فيه مجهودات علمية وفنية مختلفة، دون أن يخطر ببالنا أثر القيم المسيحية في بناء هذا الجهاز، على حين أنه في الواقع أثر من آثار العلاقات الاجتماعية الخاصة التي وحدث جهوداً مختلفة (لهرتز) الألماني، و(بوبوف) الروسي، و(برانلي) الفرنسي و(ماركوني) الإيطالي، و(فليمين) الأمريكي، فكان الراديو نتيجة هذه الجهود جميعاً وما هذه العلاقات الخاصة في أصلها سوى الرابطة المسيحية التي أنتجت الحضارة الغربية منذ عهد شارلمان».

إن هذه الأمثلة لدلالة على أهمية المبدأ الأخلاقي في الحضارة. التي هي مردفة للثقافة عند المفكرين الألمان. يقول مالك بن نبي: «وهكذا سوف نصل في النهاية إذا ما تتبعنا كل مظهر مدني من مظاهر الحضارة

ولدت على أرض قاحلة وسط البدو  
ورجال الفطرة والصحراء.

إن الحقيقة الأولى التي هي في  
أذهاننا هي أن الثقافة لا تستطيع أن  
تكون أسلوب الحياة في مجتمع  
معين كما ذكرنا، إلا إذا اشتملت  
على عنصر يجعل كل فرد مرتبطاً  
بهذا الأسلوب، فلا يحدث فيه نشوز  
بسلوكه الخاص. ونحن إذا دققنا  
النظر في هذا العنصر فإننا نرى أنه  
لا بد أن يكون خلقياً. فإذا قررنا  
وجود هذا العنصر كضرورة منطقية  
اجتماعية، فإننا تكون بهذا قد وضعنا  
الدور الحاسم للثقافة وحققنا شرطاً  
أساسياً من شروطها وهو المبدأ  
الأخلاقي»<sup>(19)</sup>.

إن الثقافة عاجزة عن رسم معالم  
الطريق الصحيح للحياة الاجتماعية  
بمختلف جوانبها إذا أهملت المبدأ  
الأخلاقي، لأن هذا الأخير هو الذي  
يجعل الأفراد متمسكين بالوسائل المعنوية  
والمادية التي تنتقيها الثقافة لبناء صرحها  
وبلوغ هدفها المنشود. وبهذا المبدأ

الأخلاقي تتوحد الأفكار والغايات، وإن  
اختلفت الوسائل في بلوغها.

ومن ناحية أخرى تكمن أهمية  
البعد الديني كمبدأ في إبراز الظواهر  
الاجتماعية التي تبدو في شكل  
الغاز لا يمكن إدراك معناها إلا على  
أساس أخلاقي: «ولو أننا اتخذنا  
الآن هذا المبدأ كمقياس يوضح  
لنا بعض الظواهر الاجتماعية التي  
تعرضنا أحياناً في صورة الغاز لا  
ندرك معناها، فسوف نجد مثلاً أن  
العلاقات الشخصية لا تقوم في أي  
مجتمع على غير أساس أخلاقي...  
ولما كانت شبكة الصلات الثقافية  
تعبير عن العلاقات الشخصية في  
مستوى معين، فإن هذه الشبكة لا  
يمكنها أن تتكون دون مبدأ أخلاقي». الواقع أن أهمية البعد الديني في  
الثقافة يتجاوز مستوى العلاقات بين  
الأفراد إلى مستوى الدول والدولة  
محكوم عليها بالفشل في حالة اختلال  
المبدأ الأخلاقي الذي يوحد جميع  
أفرادها، وهذا الجانب من القضية قد

أهميته الكبرى في تحديد الثقافة في مجتمع ما.

وفي توضيح الخلاف الجوهرى بين الثقافة التي تتضمن كشرط أولي تحديد الصلات بين الأفراد وبين العلم الذي لا يهتم إلا بالصلات الخاصة بالمفاهيم والأشياء، فالرجل العالم قد يكون عنده إلمام بالمشكلة كفكرة، غير أنه لا يجد في نفسه الدوافع التي تجعله يتصورها كعمل، في حين أن الرجل المثقف يرى نفسه مدفوعاً بالمبدأ الأخلاقى الذي هو أساس ثقافته.

إن أثر البعد الدينى فى العلاقات الاجتماعية مهم جداً، ذلك أن المجتمع لا ينتج القيمة الخلقية المحركة لسلوكه إلا إذا تم تنظيم العلاقة التي تتيح له أن يتم نشاطه المشترك بصفة مركبة أي من خلال تركيب الإنسان والتراب والوقت، لكن هذا التركيب - الذي يتفق من الوجهة التاريخية مع ظهور حضارة معينة - لا ينتج تلقائياً، إذ هناك جماعات بشرية

أصبح الآن مهماً، لأن شبكة الصلات الثقافية تختل حتماً في بلد ما، إذا اختل فيه المبدأ الأخلاقى. إن فعالية المجتمعات تزيد أو تنقص ما يزيد فيها تأثير المبدأ الأخلاقى أو ينقص.

إن موافقها إزاء المشكلات محددة بذلك المبدأ الذي يكون الشرط الأساسى لفعاليتها، حيث تنظم فيها علاقات الأشخاص تنظيمًا يناسب المصلحة العامة، وليس ثمة أساس آخر تقوم عليه المجتمعات.

إن الثقافة تكون راکدة بركود الضمير الأخلاقى، وسلبية بقدر ما يكون فيها المبدأ الأخلاقى عديم التأثير، لأن وظيفة المبدأ الأخلاقى هي تكوين الإنسان الذي لا يمكن بدونه تكوين عالم الأشياء ولا عالم المفاهيم. ومن هذا المنطلق كان للعنصر الأخلاقى أهميته الكبرى في تحديد هوية الثقافة. فالمبدأ الأخلاقى يقوم ببناء عالم الأشخاص الذي لا يتصور بدونه عالم الأشياء ولا عالم المفاهيم، ومن هنا كانت

النظفة كل العناصر العضوية والنفسية المساهمة في تركيب الكائن الحي. فليس وجوده حينئذ سوى فكرة متجسدة؛ فسواء كنا بصدد الحديث عن المجتمع الإسلامي أو المجتمع المسيحي، أم كنا بصدد المجتمعات التي تحجرت اليوم أو اختفت تماما من الوجود، إننا نستطيع أن نقرر أن الفكرة التي غرست بذرتها في حقل التاريخ هي فكرة دينية. ومعنى هذا أن (الظرف الاستثنائي) الذي يلد مجتمعا يتفق في الواقع مع الفكرة الدينية التي تحمل مقاديره كما تحمل النظفة جميع عناصر الكائن الذي سيخرج فيما بعد إلى الوجود. ومعنى هذا أيضا أن شبكة العلاقات بكل ما تحتويه من خيوط وأطراف، والتي سيتسنى للمجتمع بفضلها أن يؤدي عمله التاريخي هي ذاتها تعد حيز القوة داخل البذرة التي تشمل جميع أقدرها.

إن العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تولد العلاقة

ما زالت تعيش حتى الآن في حالة ما قبل الحضارة. وإنما يتم هذا التركيب على أثر حدوث عارض غير عادي أو بعبارة أخرى ظرف استثنائي.

لقد اختلفت آراء المدارس المختلفة فيما بينها في تفسير ماهية هذا (العارض).

فتويني يرى أنه يظهر في صورة (تحد) يخلقه الوسط الطبيعي أو البشري خلقا يصبح معه المجتمع ملزما بمواجهة والإجابة عليه.

وأما هيجل فيرى أن (الظرف الاستثنائي) إنما يظهر في تعارض بين قضية ونقيضها.

وهكذا يمكن القول: إن المجتمعات المعاصرة لا تخرج عن إحدى مجموعتين: مجموعة المجتمعات التاريخية التي تتفق مع تعريفنا الذي وضعناه فيها سبق، ومجموعة المجتمعات الراكدة التي يطلقون عليها كلمة (بدائية).

إن عالم الأفكار يحتوي على الأقل بذرة إمكانياته، كما تحتوي

هذا العدد، أي يتناقص كلما تجاوز المجتمع المرحلة التي تزداد درجة الفراغ الاجتماعي بين الأفراد في محيط هذا المجتمع، وعلى عكس ذلك نجد أنه عندما تقوى العلاقة الدينية، فإن درجة الفراغ الاجتماعي تقل، فتصبح معها صورة المجتمع بعض ما يوحى به قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» فتلك صورة المجتمع الذي لا يوجد فيه فراغ اجتماعي.

إن الدين هو التعبير التاريخي والاجتماعي للتجارب المتكررة عبر القرون، وهو يعتبر في منطق الطبيعة أساس جميع التغيرات الإنسانية الكبرى، لذلك فنحن لا نستطيع تناول الواقع الإنساني من زاوية المادة فحسب، لأن رسالة الإنسان في الحياة الاجتماعية أن يكون عاملا نفسيا زمنيا من خلال وعيه لذاته ولدوره في التاريخ<sup>(20)</sup>. فهو لا يؤثر فيها تبعا لوجوده الزمني فحسب، أعني تبعا لحاجاته المادية، بل إنه

الاجتماعية، وهذه تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان. ويجب أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية على أنها حدث، ومن الوجهة الكونية على أنها عنوان على حركة تطور اجتماعي واحد. إننا نرى من الوجهة التاريخية أن الحداثين يتوافقان، ونلاحظ من الوجهة الكونية بناء ما أسلفنا من اعتبارات أن الحداثين يرتبطان ارتباط الأثر بالسبب في حركة التطور الاجتماعي. فالعلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزمني.

وبهذا نستطيع أن نقدر بصورة ما درجة الفاعلية الاجتماعية في العلاقة الدينية، بأن نقر نسبة حسابية بين عدد العلاقات الدينية في مجتمع معين وعدد العلاقات التي تكون الشبكة الاجتماعية؛ ومعنى هذا أن الدين هو الفاعلية في المجتمع باعتباره نظاما اجتماعيا يتحول فيه الفرد إلى أفراد كثيرين من العلاقات الاجتماعية، فكلما ضعفت العلاقة الدينية تناقص

إلى أخرى فإنها حينئذ تكون قد  
مكنت لبقاء المجتمع ودوامه، وذلك  
بتبنيها لشروط استمرار الحضارة».

وهكذا فإن دور الفكرة الدينية  
عند بن نبي لا يكفي أن تضبط  
سلوك الإنسان حتى تجعله قابلاً  
لإنجاز رسالة حضارية، لكنها تحل  
لنا مشكلة - نفسية اجتماعية - أخرى  
ذات أهمية أساسية تتعلق باستمرار  
الحضارة. فالمجتمع لا يمكنه مجابهة  
الصعوبات التي يواجهها بها التاريخ  
كمجتمع ما لم يكن على بصيرة من  
هدف جهوده.

إن البناء الاجتماعي لا يقوي  
على البقاء بمقومات الفن والعلم  
والعقل فحسب، لأن الروح وحدها  
هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض  
وتتقدم، فحيثما فقدت الروح سقطت  
الحضارة وانحطت، لأن من يقدر  
على الصعود لا يملك إلا أن يهوى  
بتأثير جاذبية الأرض؛ وعندما يبلغ  
مجتمع ما هذه المرحلة، أي عندما  
تكف الرياح التي منحتة الدفعة

يؤثر طبقاً لوجوده النفسي، أعني  
طبقاً لحاجاته الروحية، وتلك هي  
حقيقة الإنسان كاملة.

وهذا ما ينبغي أن ندركه لتتناوله  
كلا غير متجزئ، فما كان لنا أن نحدد  
شروط تغييره لو غاب عن أعيننا أحد  
هذين الجانبين الروحي أو الزمني،  
لأن العنصر الديني يتدخل هنا مباشرة  
في الطريقة التي يتبعها الاستبطان  
ذاته باعتباره أساساً للضمير يبحث  
عن نفسه. إن هذا الضمير الديني قد  
ارتبط بالوعي الاجتماعي، بحيث لا  
يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر.  
ولذلك كان الإصلاح الديني لازماً  
باعتباره نقطة انطلاق لكل تغيير  
اجتماعي<sup>(21)</sup>.

يقول مالك بن نبي: «إن الفكرة  
الدينية تخلق في قلب المجتمع بحكم  
غاية معينة تتجلى في الحضارة.  
وهذه الغاية تمنح إياها الوعي بهدف  
معين فتصبح معها الحياة ذات دلالة  
ومعنى.. وهي حينما تمكن لهذا  
الهدف من جيل إلى جيل ومن طبقة

الأولى عن تحريكه تكون نهاية دورة حضارة إلى بقعة أخرى تبدأ فيها دورة جديدة طبقا لتركيب عضوي تاريخي جديد.

وإذا ما عدنا إلى مفهوم التغيير في القرآن الكريم وارتباطه بالمبدأ الأخلاقي و السلوكي، فإننا نجده يقوم على أساس تغيير ما في النفس أولا يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (22). وتغيير ما بالنفس يقوم على أساسين تربوي وتعليمي:

1 - أساس تربوي إيماني: و معناه أن سلوك طريق الإيمان والإحسان ليس محصورا في الرجال فقط بل المرأة مدعوة إليه أيضا، ولنا في السيدة مريم عليها السلام خير مثال، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفٰكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (42) يَمْرُؤُا فَتَنَّا لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿43﴾ (23).

2 - أساس تعليمي: ومعناه أن خطاب الله ﷻ للنبي محمد ﷺ بقوله: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (24) لم يكن خاصا به، وإنما كان موجها إلى كل الإنسانية.

### أهم الاستنتاجات

- تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ، وبذلك تتم دورتها في الحضارة.

- من خلال ما أورده مالك بن نبي نستنتج أنه مقتنع بدور الدين في بناء المجتمع أكثر من أية فكرة أخرى، لأن الدين هو الوسيلة الروحية التي يمكن أن تبني الأشخاص، لأنه يخاطب الروح. وهذا هو الجانب المهم الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية، لأن هذه الأخيرة ما هي إلا ذلك الشعور الاجتماعي الموحد الذي يمكن من خلاله أن نقوم بعمل مشترك بناء.

- إن أي مجتمع في نقطة إقلاعه ليس أمامه من رأسمال سوى ثلاثة عوامل مادية، هي: الإنسان - التراب - الوقت، وهذه العناصر هي المُشكِّلة للحضارة ولعملية البناء الحضاري القائمة أساسا على المحرك أو المركب ألا وهو الفكرة الدينية باعتبارها الجامعة والمحركة للعناصر السابقة الذكر.

- إن الدين هو الفاعلية في المجتمع باعتباره نظاما اجتماعيا يتحول فيه الفرد إلى أفراد كثيرين من العلاقات الاجتماعية. فكلما ضعفت العلاقة الدينية تناقص هذا العدد، أي يتناقص كلما تجاوز المجتمع المرحلة التي تزداد درجة الفراغ الاجتماعي بين الأفراد في محيط هذا المجتمع. وعلى عكس ذلك نجد أنه عندما تقوى العلاقة الدينية، فإن درجة الفراغ الاجتماعي.

- الفكرة دينية ذات وظيفة اجتماعية تغرس في الإنسان الفضائل والقيم والوعي الإنساني.

- الفكرة الدينية طاقة روحية تربط الإنسان بخالقه وبالعالم المحيط به، كما أنها تمثل مناط التكليف البشري القائم على أساس الاستخلاف في الأرض.

- الفكرة الدينية تمثل الموجة العام لسلوك الإنسان لأجل تحقيق الإنسان الفاضل.

- أزمة الأفكار تجعل الإنسان والمجتمع يدخلان في الحلقة المفرغة أي حلقة التخلف والانحطاط.

- عملية الدخول إلى عالم الحضارة تبدأ بتحقيق الرؤية المتكاملة والمنسجمة بين عالم الإنسان والأشياء وبين تحقيق الأهداف بالوسائل الصحيحة الموحدة للإرادة والمجهود.

- الفكرة الدينية أو المبدأ الأخلاقي يُنمِّي الشعور بالمسؤولية المعبر عن الوعي وهو ما يعرف عنه بالضمير الأخلاقي، وهو مرتبط بالثقافة باعتبارها فعلا ينمي الوعي والإرادة للفرد، فموت الثقافة يلزم عنه موت الوعي والشعور بالمسؤولية.

## الهوامش

- (1) د/نصر عارف، هندسة البناء الحضاري عند مالك بن نبي، مجلة الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي أفريل، 1994 ص 54.
- (2) سورة الأنفال، الآية رقم 63.
- (3) Malek Bennabi, Vocation de l'Islam, Editions le seuil, paris, 1954 P21.
- (4) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر بيروت 1981، ص 66.
- (5) آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنو لد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 121.
- (6) د/ بدران بن لحسن، الأثر الخلدوني في الدراسات المعاصرة «مالك بن نبي نموذجاً» مجلة الحوار، العدد 9، جوان 2007، ص 187.
- (7) Abdeslam Elharas, [http, www, muslim wor ldleague, org/ paper/ articles, htm](http://www.muslimworldleague.org/paper/articles.htm) 25 2006. 04.
- (8) كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1984، ص 126.
- (9) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر، الجزائر (بدون تاريخ)، ص 300.
- (10) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1983، ص. ص 173-174.
- (11) عكاشة شايف، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، مدخل تحليلي في فلسفة مالك بن نبي، الطبعة الثانية، ص 120.
- (12) د/ محمد الأشهب، الفلسفة و السياسة، منشورات دفاتر سياسية، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2006، ص 24.
- (13) سورة الصف، الآية رقم 03.
- (14) محمد سعيد مولاي، إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي، مجلة الموافقات، المعهد العالي لأصول الدين، العدد الثالث، جوان 1994،

حول المفكر مالك بن نبي، تنظيم  
المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر،  
2003.

(19) مالك بن نبي، وجهة العالم  
الإسلامي، ترجمة عبد الصبور  
شاهين، دار الفكر بيروت لبنان  
1982. ص 58.

(20) سورة الرعد، الآية رقم 11.

(21) سورة آل عمران، الآية رقم 42 - 43.

(22) سورة العلق، الآية رقم 01.

ص 300.

(15) مالك بن نبي مالك بن نبي، شروط  
النهضة، مصدر سابق، ص 89.

(16) المصدر نفسه، ص 90.

(17) مالك بن نبي، حديث في البناء  
الجديد، ترجمة عمر مسقاوي،  
منشورات المكتبة العصرية، بيروت،  
1960 ص 71.

(18) د/ الأخضر شريط، مفهوم الإنسان  
في فكر مالك بن نبي، ملتقى

